

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ غَرَسَ بَيْنَ جَوَانِحِهِ الرَّعْبَةَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَالطَّلَبَ لَهَا. وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ، يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِحَاجَةٍ مُلِحَّةٍ إِلَى الْحُرِّيَّةِ، وَهَذِهِ الْحَاجَةُ تَشْمَلُ حُرِّيَّةً فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ وَالْاِقْتِصَادِ وَالْاجْتِمَاعِ وَحُرِّيَّةَ الشَّخْصِيَّةِ. بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي سَاحَةِ التَّارِيخِ وَكَذَلِكَ الْإِيدِيُولُوجِيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، اتَّخَذَتْ مِنَ الْحُرِّيَّةِ مَادَّتَهَا الْأَمَّ، تَلْبِيَةً لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ هَذِهِ. وَحَتَّى تَلْقَى مُعْتَقِدَاتُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ قَبُولًا لَدَى النَّاسِ وَعَدْوُهُمْ بِالْحُرِّيَّةِ فِي السَّاحَتَيْنِ؛ الشَّخْصِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَلِذَلِكَ نَجِدُ تَارِيخَ الْبَشَرِيَّةِ مَلِيئَةً بِصِرَاعَاتِ الْحُرِّيَّةِ.

هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِوَسِيطَةِ رُسُلِهِ قَدْ أَعْلَنَ بِكَلِمَةٍ مُخْتَصَرَةٍ عَنْ وَثِيقَةِ حُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ الَّتِي تَعْلُو الرِّمَانَ وَالْمَكَانَ، أَلَا وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ. فَإِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ الَّتِي آخِرُ مَنْ أُرْسِلَ بِهَا نَبِيًّا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالَّتِي تُشَكِّلُ اسْتِجَابَةً تَامَةً لِلْحُرِّيَّةِ الَّتِي تُشَدُّهَا الْإِنْسَانِيَّةُ. هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَثِيقَةُ حُرِّيَّةِ خَالِدَةٍ تَفُوقُ كُلَّ عَصْرِ وَكُلِّ مَكَانٍ. فَلَا مَنَاصَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَسْرِ الدُّنْيَا وَالظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا إِلَّا بِقَبُولِ وَجُودِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَالْإِسْتِسْلَامِ لِلرَّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي بَلَّغَهَا إِيَّانَا عَنْ طَرِيقِ رُسُلِهِ. فَالْإِلْتِجَاءُ وَالْإِسْتِسْلَامُ لِلتَّوْحِيدِ مَهْمَةٌ مِنْ أَوْلَى مَهَامِ الْإِنْسَانِ الْوَاعِي الْمُدْرِكِ. فَإِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُنَا مِنَ الْمِيلِ وَالرُّكُوعِ إِلَى الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ ابْتِلَاءٍ فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ دُسْتُورُنَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۗ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>1</sup>. فَالنجاة من أسر الدنيا وما فيها، لا يمكن إلا بتقديم الآخرة عليها والإستِسْلَامِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

## إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>2</sup>.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ طَرِيقَ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ. فَالشرطُ الْأَوَّلُ هُوَ إِسْلَامُ الْوَجْهِ لِلَّهِ وَالْإِسْتِسْلَامُ لَهُ. وَالْإِسْتِسْلَامُ هُوَ الْإِنْقِيَادُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ. وَإِنَّا فِي الْأَصْلِ نَحْمِلُ اسْمَ " الْمُسْلِمِينَ " لِأَنَّنا قَدْ اسْتَسْلَمْنَا لِلَّهِ تَعَالَى. وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْعَكِسَ هَذَا الْإِسْتِسْلَامُ عَلَى أَفْكَارِنَا وَكَلَامِنَا وَأَعْمَالِنَا وَنَظَرِنَا إِلَى الْعَالَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ. فَإِنَّ شَرَطَ الْفَلَاحِ الثَّانِي فِي الْآيَةِ هُوَ الْإِحْسَانُ وَالْإِحْسَانُ هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. فَإِنْ اتَّبَعْنَا هَذَا الطَّرِيقَ الَّذِي رَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَسِّرَ اللَّهُ أُمُورَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَقَابَلَنَا بِرَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ.

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَقَدْ أَوْصَانَا اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾<sup>3</sup>. فَوَجُوبُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَدَمُ الْخِيَرَةِ فِيهَا يَسْرِي أَيْضًا عَلَى الْأَحْكَامِ الَّتِي لَا نُدْرِكُ حِكْمَتَهَا. فَإِنَّ مِيزَانَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ، وَالْمُفِيدِ وَالضَّارِّ هُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، لَا قِتَاعَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ »<sup>4</sup>. فَهِيَ قَدْ عَلَّقَتْ كَمَالَ الْإِيمَانِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ الْأَكْوَانَ مِنْ عَدَمٍ يُخْبِرُنَا أَنَّ الْحُرِّيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَالْإِسْتِسْلَامُ لِلْبَاقِي عَزَّ وَجَلَّ، مُنْقَذٌ مِنْ أَسْرِ كُلِّ فَنٍّ. فَالْإِسْتِسْلَامُ؛ مَنْحُ الْحُرِّيَّةِ مِنْ أَسْرِ الدُّنْيَا لِعَبْدٍ يَقُولُ " رَبِّيَ اللَّهُ ".

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لَهُ بِحَقِّهِ فَحَازُوا بِذَلِكَ حُرِّيَّتَهُمُ الْحَقِيقِيَّةَ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ



<sup>3</sup> سورة الأحزاب: ٣٦

<sup>4</sup> كتاب الحجّة، انظر: الأربعون النووية: الحديث رقم (٤١)

<sup>1</sup> سورة الأنعام: ٣٢

<sup>2</sup> سورة لقمان: ٢٢